(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
2024 (حزيران), مجلد 2,عدد 2 ,الصفحات 178-188

غايات الأنسنة في قصص (شفيق مهدي)، الغاية التفسيرية أو العلمية انموذجا

أ.د. عبد الكريم خضير عليوي السعيدي[1]*
الباحث تيسير جبار معيدي[2]*

[1] *كلية التربية الأساسية, جامعة سومر, ذي قار, العراق*

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على الغايات التي من أجلها أنسن القاص شفيق مهدي ، بعض شخصيات قصصه (الحية وغير الحية) وجعلها تتصف بصفات البشر ، وقد اقتصر النظر في هذه الدراسة على مجاميعه القصصية الثلاث : (حكايات الفصول) و(مائة قصة وقصة) و(الف حكاية وحكاية) وهي قصص موجهة للأطفال بمختلف فئاتهم العمرية ، وقد اقتصر الحديث هنا على غاية واحدة ، هي الغاية التفسيرية أو العلمية ، التي فسر فيها القاص بعض الحقائق العلمية للأطفال ، عبر قصصه ، وقد استطاع القاص عبر توظيفه القص وجعله يؤدي أغراضا وأهدافا وغايات متنوعة ؛ منها تربوية وأخلاقية وكذلك تعليمية ، فضلا عن الغايات العلمية ، أن يفسر ويبين بعض الحقائق العلمية تفسيرا يتناسب مع مستوى الطفل العقلي وجعله يتقبله ، وسنقف في هذه الدراسة على نماذج من تلك الغايات .

الكلمات المفتاحية: الأنسنة ، شفيق مهدي ، غايات الأنسنة .

The Purposes of Humanity in the Stories of (Shafiq Mahdi), the Interpretive or Scientific Purpose as a Model

Professor. Abdul Karim Khadir Aliwi al-Saidi[1]*
Taseer Jabbar Maidi[2]*

[1] *college of Basic Education, University of Sumer, Thi-Qar, Iraq*

[2]*college of Basic Education, University of Sumer, Thi-Qar, Iraq*

Abstract

This study seeks to determine the goals for which Anas, the storyteller Shafiq Mahdi, narrated some of the characters of his stories (living and non-living) and made them have human characteristics. The study in this study was limited to his three short story collections: (The Chapters), (One Hundred and One Stories), and (A Thousand and One Tales (A Thousand and One Tales) are stories directed at children of all age groups. The discussion here was limited to one goal, which is the explanatory or scientific goal, in which the storyteller explained some scientific facts to children, through his stories. The storyteller was able, by employing storytelling, to make it serve various purposes, goals, and purposes. ; Among them are educational, moral, and educational, in addition to scientific goals, which are to explain and show some scientific facts in a way that is appropriate to the child's mental level and make him accept them, and in this study we will look at examples of those goals

Keywords: Humanity, Shafiq Mahdi, the goals of humanity.

* **Email address: Majd 38411 @gmail.com**

المقدمة :

لكل قاص أو أديب هدف أو غاية من كتابته؛ فهو لا يكتب لمجرد الكتابة، وهذا ما ينطبق على سائر المنجزات الكتابية ، ومنها ما يُعرف بـ(أدب الأطفال)؛ إذ يسعى الكاتب إلى إيصال غاياته المتنوعة عبر كتاباته إلى ذهن الطفل؛ ومن هنا سعى الكاتب(شفيق مهدي) بوساطة منجزه القصصي وكتاباته التي انطوت على الأنسنة، سواء التي أنسن فيها الكائنات ذوات الأرواح أم الموجودات ليس من هذا الصنف؛ ومنها الظواهر الطبيعية والجمادات، التي وظّفها لغرض إيصال رسائل تعليمية متنوعة للطفل أو ما اتسم بصفة الإرشاد والوعظ، ومن تلك الرسائل، الرسائل العلمية، إذ حاول الراحل (شفيق مهدي) توظيف الأنسنة؛ ليشرح أو يوضح عبرها بعض الحقائق العلمية، محاولاً استغلال ما في السرد (القصص) من إمكانية؛ لتذليل الجمود الذي تنطوي عليه تلك الحقائق، ولاسيما ما يتعلق بالفضاء والظواهر الطبيعية، وهذا يذكرنا بالأقوام البدائية التي استعانت بالأساطير لشرح بعض الأسطر المقبلة؛ من هنا سنقف عند بعض النماذج القصصية؛ لنتبين الغاية المتوخاة، ودور الأنسنة في إيصالها للمتلقي (الطفل) عن طريق القصص.. لأنّ القصة هي أقرب الفنون الأدبية للطفل وميوله ، التي يتوق إلى سماعها أو قراءتها الصغار والكبار؛ لذلك جاء الكثير منها في القران الكريم؛ لأنّها **(أقرب الفنون الأدبية إلى الحياة الإنسانية، وأشدها تأثيرا)**[1].

على أن القاص هنا (**لا يقدم لقرائه كتاباً علمياً؛ بغية تغذيتهم بما يضمه من معارف علمية نظرية وتطبيقية, بل يقدم لهم قصة قصيرة أو طويلة أو رواية بغية إمتاعهم، ومن خلال هذا الإمتاع يزودهم بالمعارف العلمية النظرية والتطبيقية**)(2) ،ومع كل ما ذُكر لابدّ من الالتفات إلى مراعاة المستوى الخطابي (أدب الطفل)؛ لأنّ آلية تحليل الخطاب يختلف من فئة إلى أخرى ومن طبقة إلى أخرى، مع مراعاة بنية الزمان (عمر متلقي القص).

ولابدّ من القول هنا إن هنالك تباينا في مستويات المنجز الأدبي ، تبعاً لفئة المخاطب ونوعيته؛ ومن هنا نشأ الاختلاف وتعدد وأنّ **(هذه الاختلافات بين أدب الصغار وأدب الكبار في مراعاته لحاجات الطفل وميوله وقدراته وخضوعه لفلسفة الكبار في تثقيف الأطفال)**[3]، هذا التفاوت جعل لكل أدب خصوصية؛ لذلك يرى الدكتور(كمال الدين حسين) أنّ أدب الأطفال ما هو إلا(**إبداع خيالي، يحول الواقع الإنساني من خلال الخيال، والاستعارة والرمز، والأساليب البلاغية إلى واقع خاص يتعامل معه الطفل ويتعلم منه وينمو بمساعدة ما يتضمنه من خبرات ونماذج تربوية واجتماعية ونفسية وثقافية... الخ**)[4]ومع هذا الاختلاف هناك من يرى أنّ (**أدب الأطفال لا يختلف عن أدب الكبار في جوهره وأدواته**)[5]؛ لأنّه من الناحية الفنية يحمل مقومات الأدب العامة[6]: فالأدب بصورة عامة هو(**فن جميل أداته الكلمة وهو يتفق مع كل الفنون في طبيعته وغايته، وكثير من خصائصه ووظائفه، ولكنّه يختلف قليلاً عن بقية الفنون في أن أداته ـ الكلمة ـ ولها دلالتان ؛دلالة أصلية هي ما يفهم منه أولا، والثانية دلالة فرعية هي ما قد توحي به أو ترمز إليه**)[7].

تأسيساً على ما تقدم يمكن القول إنّ أدب الأطفال هو كل عمل أدبي تنجمع فيه مقومات الأدب عامة، سواء أكان هذا الأدب مكتوبا أم مسموعا أم مشاهدة، فهو يقدم للطفل كل ما يحوي من أفكار ومضامين تهدف إلى تثقيف الأطفال بما يحوي من أفكار روحية وأخلاقية وجمالية من جهة وتربوية وتعليمية وترفيهية من جهة أخرى.

من جهة أخرى ،يرى الباحثون أن توظيف الأنسنة أو التشخيص أو التجسيد أو التجسيم والاستعارة ،يختلف باختلاف الفئة العمرية التي يوجه إليها الخطاب الأدبي ، نظرا لاختلاف الغايات والأهداف ، ففي أدب الأطفال تكون غايات الكتاب عند توظيفهم لهذه المفاهيم ، هي تقريب المفاهيم المجردة من أذهان الأطفال ، وجذب الطفل وإثارة انتباهه ، لهذا اشترط النقاد أن يكون الكلام ذا هدف تربوي وتعليمي ، كما اشترطوا الوضوح ومناسبة المرحلة العمرية والفكرية للطفل ، فعندما

تتبوأ الحيوانات بطولة القصة الموجهة للطفل ، تكون غاية القاص من ذلك هي تبسيط المعاني الأخلاقية والتعليمية للطفل ، لأن الطفل يشعر بالسعادة اتجاه هذه الحيوانات فهي قريبة منه في حياته اليومية ويرتبط معها بعلاقات ، والأمر الآخر الذي نستفيد منه في الاستعانة بالحيوانات أو الجمادات أو المعنويات هو تعزيز الخيال والإبداع لدى الطفل .

في حين تكون غاية المؤلف في قصص الكبار التي توظف الحيوانات أو الجمادات أو المعنويات وتمنحها صفات بشرية ، غاية مختلفة عن غاية كاتب قصص الأطفال ، فابن المقفع في (كليلة ودمنة) كان يقصد التخفي من الرقيب السياسي ، وكذلك جورج أورويل في روايته الموسومة بـ(مزرعة الحيوان) الذي كان يريد طرح مفاهيم فلسفية وفكرية عميقة في روايته، أي إن غاية السرد من توظيف التشخيص أو التجسيد أو التجسيم ، أو بث الحياة أو إضفاء الصفات البشرية على الموجودات المختلفة ، تختلف باختلاف الفئة العمرية المستهدفة من السرد(8) ، وفي الأسطر القادمة سنقف عند أهم الغايات التي وجدناها في قصص شفيق مهدي التي حضرت فيها الأنسنة .

ماهية الغايات التفسيرية أو العلمية:

من خلال استقراء شامل لعينات البحث (للقصص محل الدراسة)، تبين لنا أنّ أهم غايات الكاتب وأهدافه لا تخرج عن ثلاث غايات هي : الغاية التفسيرية التي فسر عبرها القاص بعض الحقائق العلمية للطفل ،والغاية التربوية الأخلاقية التي حاول القاص عبرها تزويد الطفل ببعض النصائح على مستوى الأخلاق والتربية ، فضلا عن الغاية التعليمية ، التي حاول القاص عبرها تعليم الطفل بعض المعارف التي تنفعه .

لقد سعى شفيق مهدي عبر قصصه إلى تعليم الطفل بعض البديهيات العلمية، أو أنه فسرها له ، متخذاً من تلك القصص وسائل ورسائل لإيصال تلك البديهيات ، لاسيما تلك التي تتعلق بالطبيعة وقوانينها ، ونقصد بذلك أن يوصل القاص الحقائق العلمية لذهن الطفل، عبر تبسيطها وجعلها في متناول أذهانهم، ومعلوم أنّ الطفل ليس في مرحلة عمرية كافية ليستطيع معها استيعاب (على سبيل المثال) السبب الكامن وراء وجود ظل لكل موجود، ولكي يبسّط القاص هذه الحقائق ويجعلها في متناول أذهان الأطفال، عمد إلى نسج حكايات خيالية استطاع عبرها إيصال تلك الحقائق ، محاولاً استغلال ما في السرد أو الحكي من إمكانية، لتذليل الجمود الذي تنطوي عليه تلك الحقائق، ولاسيما الحقائق التي تتعلق بالفضاء والظواهر الطبيعية، وهذا يذكّرنا بالأقوام البدائية التي استعانت بالأساطير لشرح بعض الظواهر الطبيعية ، كما هو شأن ظاهرة تبدل الفصول، التي شرحها العقل العراقي القديم، عبر أسطورة عشتار وتموز، فهذه الأقوام لجأت إلى الأساطير لشرح بعض الحقائق العلمية ولاسيما الظواهر الطبيعية ، فالأقوام البدائية والأطفال ، يشتركون في بساطة أذهانهما وسذاجتها؛ فالإنسان البدائي لا يستطيع استيعاب الحقيقة العلمية وراء حصول البراكين والزلازل والأمطار وغيرها من الظواهر الطبيعية، لذلك لجأ إلى اختراع قصص أسطورية يشرح عبرها أسباب حصول تلك الظواهر، ومما تجدر الإشارة إليه -هنا - هو أننا وجدنا هذا الأمر في قصص صاحب عينات البحث, التي أنسن فيها الموجودات ذات الروح (نبات - حيوان) أو على العكس من ذلك (طبيعة - جماد - معنويات)، وفي الأسطر المقبلة سوف نختار عينة من تلك القصص؛ لنبين كيف استطاع الكاتب "شفيق مهدي" إيصال أفكاره التربوية والعلمية والأخلاقية إلى ذهن الطفل، عبر أنسنة الموجودات ، ونقف عند وظيفة الأنسنة في هذه القصص .

وقبل الولوج بذكر النماذج لا بد من الإشارة إلى أن أدب الطفل ذو السمة العلمية (**لا يقدم لقرائه كتابا علمياً بغية تغذيتهم بما يضمه من معارف علمية نظرية وتطبيقية، بل يقدم لهم قصة قصيرة أو طويلة أو رواية بغية إمتاعهم ، ومن خلال هذا الإمتاع يزودهم بالمعارف العلمية النظرية والتطبيقية**)(9) ، وإن هذه السمة(العلمية) جعلته يتشابه مع القصص

الذي يصنف على أنه من قصص الخيال العلمي ، ووجه الشبه بينهما هو تعاملهما مع عوالم متخيلة ، على أن كاتب قصص الأطفال يحتاج إلى الجانب الفني ، فضلا عن المعرفي ؛ ليتمكن من توظيف العلمية في منجزه، ومن خلال اطلاعنا على عينة البحث وجدناها تنطوي على الغايات التفسيرية الآتية :

1- ضرورة وجود ظل لكل موجود :

سعى شفيق مهدي إلى إفهام الطفل بأنّ لكل موجود من موجودات الحياة ظل، وأنّ هذا الظل لابدّ أن يرافقه حيثما ذهب، وأنّ سبب تكّون هذا الظل هو وجود الضوء أو الضياء؛ وفي حال انعدام وجود أي مصدر للضوء، ينعدم وجود ظل أيضا ، ومن القصص التي حاول "شفيق مهدي" توظيفها لإيصال هذه الحقيقة هي قصة (**حيوانات مرعبات**) الواردة في مجموعة حكايات الفصول ؛ ففي هذه القصة تخرج السحلية(رقية) (**إلى الحديقة في يوم مشمس ولطيف، لترجع مسرعة إلى أمها وهي ترتجف من الخوف وترتمي في حضنها، بعدما رأت شينا أسودا يتبعها حيثما ذهبت**)(10) ، وبعدما شرحت الأم لها السبب الكامن وراء تكون هذا الشيء الذي أخافها وأعلمتها بأنّ اسمه الظل ، زال عن السحلية (رقية) خوفها غير المبرر .

وفي قصة (**أين ظلي**) الواردة في مجموعة حكيات الفصول أيضا ، جعل القاص الظل أنيسا لشخصية القصة فقد: (**استيقظت "رقية" منذ الفجر حتى تلعب مع ظلها قبل شروق الشمس!**)(11) ، فتتفاجأ بعدم وجود ظل لها ، فتحتار في الأمر، فتذهب إلى أمها مستفسرة عن السبب، فيأتيها الجواب من الأم العارفة؛ بأنّ الشمس هي سبب وجود الضوء في حياتنا، وأنّ ضوء الشمس هو السبب في تكون الظل للأشياء، وفي حال عدم وجود ضوء الشمس، يتبعه عدم وجود ظل، وهكذا نجد أنّ القاص استطاع عبر أنسنة السحلية وأمها ، بانّ جعلهما يتحدثان حديث البشر، استطاع عبر هذه التقنية إيصال هذه الحقيقة العلمية لذهن الطفل

لقد حاول" شفيق مهدي" إيصال هذه الحقيقة العلمية (ضرورة وجود ظل لكل الموجودات ، وأن سبب وجود ظل للموجودات هو وجود الضوء) إلى أذهان الأطفال، بصيغ متعددة، يمكننا عدّها عرضاً لتلك الحقيقة العلمية، ولكن بوجهات نظر متعددة ، وترد قصة (**أين اختفى ظل القمر؟**) الواردة في مجموعة (مائة قصة وقصة) ، لتحكي الفكرة نفسها ، ولكن من وجهة نظر أخرى ، يقول السارد هنا : **في قديم الزمان كان للقمر ظل على الأرض، مثلنا**(12) ، لكن في يوم من الأيام وعندما طلب الظل من القمر النزول إلى الأرض للعب، وافق القمر، ونزل الاثنان ولعبا، حتى قررا أخيراً انّ يلعبا لعبة "الاختباء". عندها اختبأ القمر، وجده الظل بسهولة؛ لأنّ نوره يكشفه، ولكن عندما اختبأ الظل ، لم يجده القمر! بحث عنه طويلاً فلم يجده، وعندما جاء الليل اضطر القمر الصعود إلى السماء من غير ظل، ومن يومها لم ينزل القمر إلى الأرض، وغاية القصة هنا واضحة من خلال أنسنة الظل والقمر، وجعلهما يتحاوران ويلعبان؛ فالقاص حاول أن يثبت للطفل العلاقة بين ضوء القمر وتكون الظل.

وفي قصة (**لعبة الاختباء**) الواردة في مجموعة مائة قصة وقصة : ظلت (لبنى) تركض وراء ظلها، لتمسكه، لكنها لم تستطيع ذلك ، ولكن(لبنى) وجدت أن ظلها هو الذي يركض ورائها ليمسكها .فشفيق مهدي هنا جعل الظل يشعر بالتعب : ويتكلم مع (لبنى) وهو يسألها :(**ما رأيك لو نلعب لعبت الاختباء؟**)(13)، قالت له : الاختباء ؟ إنها لعبتي المفضلة! ، ولكن عندما اختبأ الظل لم تجده (لبنى) .. سمعت ضحكته الرقيقة، ثم قال لها الظل : هل تعرفين أين اختبأ؟ ارفعي الصندوق! ، وهكذا يتضح لنا أن القاص قد عمد في هذه القصة إلى أنسنة الظل وجعله يوضح أو يفسر (للطفل) سبب تكون الظل للموجودات.

وفي قصة (**الظل المختبئ**) الواردة في مجموعة مائة قصة وقصة **:(اختبأ ظل الجدية(شذرة)، داخل الزريبة. أين اختبأ ظلي؟ تساءلت (شذرة) لكنها سرعان ما استطاعت أن تعثر عليه بسهولة.. السبب كان إنها أضاءت مصباح الزريبة ، فانتشر الضوء وعثرت على الظل!)** (14) ، حاول القاص هنا إثارة انتباه الطفل لكيفية انتشار الضوء وكيف يختفي هذا الظل مع اختفاء الضوء .

أمّا في قصة (**الظل النائم**) الواردة في مجموعة حكايات الفصول ، فقد أنسنن القاص السحلية وجعلها تتبادل الحديث مع أمها : **(كان الجو لطيفا، والشمس مشرقة، أسرعت السحلية (رقية) خارجة من البيت بعد أن تناولت فطورها لتلعب مع ظلها، بعد قليل عادت السحلية (رقية) إلى أمها استغربت الأم، فسألتها: ها يا (رقية).. ألم تجدي ظلك لتلعبي معه؟)**(15) ، وهنا نجد أنّ صاحب القصة أنسن السحلية الصغيرة وجعلها تفكر و تجيب أمها ، فتقول : لقد رأيته يا أمي لكنّه ما يزال نائما! لا شك أنّه تعب من لعب يوم أمس!. ولما كان الظل يظهر مع صاحبه بوجود الضوء ، لذلك لم تراها السحلية(رقية) لأنها خرجت بوقت مبكر لم تكن الشمس قد أشرقت بعد.

وفي ضوء ما تقدم ، لعله من الصواب القول هنا إن كاتب قصص الأطفال يحتاج لإيصال هذه الأفكار العلمية لأذهان الأطفال إلى الجانب الفني ، فضلا عن المعرفة العلمية، وهذا يعني أن موهبة القاص وحدها لا تنفع في هذا اللون القصصي ، كما أن المعرفة العلمية لا تكفي وحدها فيه، بل يجب اجتماع الموهبة والمعرفة العلمية هنا .

2-النجوم و الغيوم والقمر والشمس وقوس قزح مكانها السماء :

على الرغم من رؤيتنا للنجوم والكواكب على أنّها مصابيح صغيرة مضيئة في كبد السماء، ولكن لو قدر لها النزول إلى الأرض ، لضاقت بها الأرض بما رحبت ،هذه الحقيقية العلمية حاول القاص "شفيق مهدي" إيصالها للطفل بأسلوب فني بسيط يفهمه الطفل ويتفاعل معه ، عبر أنسنة تلك النجوم ، ومن ذلك جعله احدى النجوم تنزل إلى الأرض ،لممارسة اللعب مع أحد أصدقائها والسبح في أحد الشواطئ ، كما في قصة(**النجمة تسبح**) الواردة في مجموعة مائة قصة وقصة ، إذ يقول الراوي: **(أرادت النجمة "بسمة" أن تسبح.. ولكن أين تسبح؟ نزلت إلى الأرض)**(16) ، ولكنّها فوجئت بأنّ حجمها لا تسعه الأرض ، ومنذ ذلك اليوم لم تنزل النجوم من السماء، وهذا هو سبب تعلق النجوم بالسماء، علماً بأنّ هذه القصة من تأليف(فاروق سلوم)، وقد اختارها شفيق مهدي ، لأنّه كان يتمنى لو كان هو من كتبها؛ولذا ثبتها بمجموعة (مائة قصة وقصة) وتكررت الأحداث نفسها في قصة (**النجمة بسمة)** الواردة في المجموعة ذاتها ، عندما **(أرادة النجمة (بسمة) اللعب في الأرض . لكنها عندما نزلت، لم تجد أحد تلعب معه، اذ كانت أكبر من الفيل نفسه، مليون مرة! عندها شعرت النجمة بالحزن ، وعندما أرادت الرجوع إلى مكانّها سمعت صوت يناديها، ما بال الحلوة (بسمة) تبكي؟ تعالي نلعب ! أنا أريد أن ألعب!)**(17) .البحر هنا يقدم دعوة إلى (بسمة) ، التي وتقبل دعوته بسرعة ، ثم راح الأثنان يلعبان، ولم يكفا عن اللعب، إلا بعد أن سمعت (بسمة) أمها تناديها ،عندها صعدت إلى السماء . النجمة (بسمة) هنا نزلت إلى الأرض لغرض اللعب مع الفيل نظرا لكبر حجمه ، فقد كانت تتصور ان حجم الفيل يوازي حجمها ، ولكنها اكتشفت فيما بعد أنّ حجمها أكبر من الفيل نفسه؛ فشعرت بالحزن وحست بالسخرية أيضا فلامت نفسها.

وفي قصة (**سفرة إلى الأرض**) في مجموعة (الف حكاية وحكاية) ، تقرر النجمات القيام بسفرة إلى الأرض، لأنهن يحبن الأرض كثيراً ، كانت النجمات ينظرن إلى الأرض يتأملن بحارها الزرق وجبالها وغاباتها، وأشياء أخر، انطلقت النجمات إلى الأرض، وفي أثناء ذلك سمعن صراخ وعويل عال : **(يا إلهي! ما هذا؟ السماء مغطاة حجارة كبيرة جدا! إبعدها يا إلهي قبل أن تسقط علينا!)** (18) عندما سمعن النجمات ذلك، أسرعن بالعودة إلى السماء، لأنهن لا يردن إيذاء أحد،

وهكذا يمكننا التوصل إلى فكرة ان القاص أراد إيصال فكرة كبر حجم النجوم وان هذا الكبر لا تستوعبه الأرض بما رحبت ، لهذا السبب صارت السماء مكانهن .

وفي قصة (**همسة وصديقتها بسمة**) الواردة في مجموعة (مائة قصة وقصة)، تشعر (النجمة همسة) بالفرح؛ لأنّ لها صديقة مثل البنت (بسمة) **:(تحكي لها أجمل الحكايات التي تحكيها لها جدتها، عندما تصعد إلى سطح الدار، صيفا، للنوم)**(19). القاص في هذه القصة جعل النجمة (همسة) تشعر بالحزن ، لأن جدتها ليس مثل جدة صديقتها (بسمة) التي تعرف الحكايات ، علاوة على ذلك ركز القاص على مكان رؤية النجوم وهو سطح الدار؛ ليعلم الطفل أنّ مكان النجوم في السماء .

وفي قصة (**الغيوم والشمس والقمر**) من مجموعة (حكايات الفصول) ، تمنع الغيوم الشمس من الظهور ، بعد أن تكاثفت وتجمعت في السماء، واستمر انتشار الغيوم ليلا ، فحجبن ضوء القمر كذلك ، عندها استغربت فسيلة النخل (وسيلة) ،فرفعت رأسها إلى أمها النخلة وسألتها**:(ماما لماذا تخفي الغيوم الشمس والقمر؟)**(20) ،هنا جاء دور الأم النخلة لتعلم صغيرتها وهي تشرح لها فتقول: لأنّ الشمس والقمر أعلى بكثير من الغيوم ، لو كانت الغيوم أعلى من الشمس والقمر لما استطاعت أن تخفيهما عنا، الصغيرة(وسيلة) أخذت تستمتع برؤية القمر؛ بدأ يظهر بعد أن بدأت الغيوم تنقشع.

استطاع القاص (شفيق مهدي) أن يوصل المعلومة للطفل عن طريق أنسنة النخلة وجعلها تتحاور مع فسيلتها، فنجد تبسيط القصة وبطريقة غير مباشرة, لأنّ القصة متنفس لانفعالات الأطفال، ووسيلة للتقرب من خيالهم وأحلامهم وغاياتهم ،عن طريق الإحساس والتمثيل وإطلاق المشاعر والأحاسيس.

وفي قصة (**السحابة الظريفة**) ضمن مجموعة (مائة قصة وقصة) تستلقي السحلية (أم سليمان) على الأرض، مستمتعة بشروق الشمس ، فمرت سحابة مرحة، فغطت الشمس.. فاستشاطت السحلية (أم سليمان) غضبا وهي تهدد الغيمة وتقول لها : **(ابتعدي بسرعة ، والا صعدت اليك . ابتسمت السحابة، وسكبت عدداً من قطراتها على (أم سليمان) ، التي ركضت لتختبي في اقرب مكان.)**(21).

وفي قصة (**شكرا يا غيوم**) ضمن مجموعة (الف حكاية وحكاية) ،تهب عاصفة ترابية، فتلوث الأشجار الخضر الزاهية، التي كان الربيع قد ألبسها، ثياباً جديدة، في هذه الأحيان لاحظت الغيوم ذلك؛ ففكرت وقررت تنظيف الأشجار؛ لأنّ الوضع كان صعبا عليها، فأسرعت وتجمعت في السماء ، بعد أن ساعدتها الريح في ذلك، وأمطرت وظلت الغيوم تمطر، منذ عصر البارحة وحتى اليوم الثاني، فغسلت ثياب الأشجار، ونظفتها فعادت تزهو بخضرتها من جديد . القاص هنا أنسن الأشجار وجعلها تشعرت بالفرح ، ولم تنس فضل الغيوم ، فرفعت رأسها إلى السماء حيث موطن الغيوم ؛ لتشكر الغيوم لما قدمته لها وقالت:**(شكرا يا غيوم على أمطارك ،بعد ذلك العصافير شعرت بالفرح أيضا ورفعت راسها إلى الأعلى تشكر الغيوم)**(22) ، وكان شكرها على شكل زقزقة (تزقزق).

وفي قصة (**الغيوم أكلت القمر**) من مجموعة (حكايات الفصول) جعل القاص القمر يطل بوجهه المدور ولونه الفضي للأرض ، حيث العصافير وهي غافية ، فتستيقظ العصافير من غفوتها وترفع رأسها إلى السماء ، حيث موطن القمر ، كي تشاهد القمر بعد غياب أسبوع، بينما العصافير تنظر إلى القمر وهي سعيدة، جاءت غيوم وحجبته، صرخت العصفورة الصغيرة (أميرة) خائفة: ماما ! ماما! الغيوم أكلت القمر ! أرادت الصغيرة أن تبكي ، وقبل أن تنزل دموعها طلّ القمر بوجهه المدور مبتسماً، وقال لها: لا تخافي يا (أميرة) من صديقاتي الغيوم ! أنا هنا! (23) ، فالقاص يريد هنا إفهام الطفل عن طريق أنسنة القمر وجعله مبتسماً ، فضلا عن صرخة العصفورة الصغيرة، أن القمر والغيوم مكانها السماء.

وفي قصة (**انزل يا قمر**)(24) من مجموعة (مائة قصة وقصة) جعل الكاتب الحديث القمر يبادل الأفعى الصغيرة اللطيفة(عفيفة) الحديث ، بعد أن قدمت الأفعى (عفيفة) الدعوة للقمر بالنزول إلى الأرض لكي يلعبا معها، فرح القمر لهذه الدعوة وأسرع نازلا، لكن سرعان ما صعد القمر إلى مكانه ، بعد سماعه صياحا شديدا ، ومن يومها لم ينزل القمر إلى الأرض.

وفي قصة (**القمر نعسان**) من مجموعة (ألف حكاية وحكاية) يستيقظ القمر من غفوته عندما حل الظلام: **(وهو ما يزال يشعر بالنعاس، وما أن صار وسط السماء نام، رأته الغيمة (حليمة) فكرت وابتسمت، وأمطرت على وجهه رذاذاً خفيفا كي يصحاً من نومه)**(25).

وفي قصة(**غيوم الأرض**) من مجموعة (الف حكاية وحكاية)،يجعل القاص (ميثم) يكتشف أن الضباب الذي غطى المدينة كلها ، هو نوع من الغيوم ، وأنها تهبط إلى الأرض من السماء(26) .

وفي قصة (**اللون الثامن**) من مجموعة (الف حكاية وحكاية) تتفق الألوان الثمانية: (الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي والرمادي) على رسم قوس قزح مزهوا بألوانه الجميلة ، جميع الألوان أتمت مساهمتها ، ماعدا اللون الرمادي ، لأنه غير موجود في قوس قزح ، لذلك فكر اللون الرمادي في نفسه ، وقال : (**وجدتها! اسرع ورسم غيوم رمادية، هل تعرفون السبب؟ لان قوس قزح لا يظهر من غير غيوم)** (27).

أمّا في قصة (**القمر وقوس قزح**) ضمن مجموعة (الف حكاية وحكاية) استحضر القاص شفيق مهدي ظاهرة قوس قزح الفيزيائية في السماء، من خلال هذه الرمزية الجميلة، إذ جعل القمر يسمع كثيرا عن قوس قزح ، لكنّه لم يكن قد راه ، وعندما رأى القمر الغيوم تناثرت في السماء، عرف حينها أن قوس قزح سوف يظهر عندما تبزغ أشعة الشمس، **(ظل القمر ساهرا، لم ينم، عندها مطرت السماء ، والشمس مشرقة، ظهر قوس قزح؛ لا تستغربوا ان رأيتم القمر بازغا في النهار، فربما كان ينتظر ظهور قوس قزح الجميل!**)(28) عندها يشعر الصغار بالدهشة والفرح والسرور، ففي هذه القصة أراد شفيق مهدي بيان الأسباب التي من أجلها نرى القمر في النهار، وهي محاولة القمر الاستمتاع برؤية قوس قزح الذي يظهر نهارا فقط ، وهكذا تتكرر فكرة ان القمر والنجوم والغيوم وقوس قزح مكانها السماء .

3- ضوء الشمس ونور القمر والنجوم:

ورد في القران الكريم في سورة يونس (آية 5) قوله تعالى:**(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا)(29)** فسمى القران الكريم ، أشعة الشمس ضياء ، في حين سمى ما يخرج من القمر نورا ، وكلنا يتذكر عندما كنا تلاميذا في الابتدائية كيف كان معلم مادة العلوم يشرح لنا أن مصدر الضوء يقسم إلى نوعين ؛ النوع الأول هو النوع المباشر ، كالشمس والمصباح والشمعة ، والنوع الثاني هو النوع غير المباشر وهو الضوء الذي يصدر من الأشياء حينما ينعكس الضوء على تلك الأجسام .

حاول شفيق مهدي إيصال هذه الفكرة إلى ذهن الطفل ، قبل دخوله المدرسة ، فأوضح له في قصة **(الشمس الحارة والقمر البارد)** الواردة في مجموعة (حكايات الفصول) إن الإقتراب من الشمس يعني الاحتراق ، عندما جعل (النجمة همسة) تسأل القمر مستفسرة عن سبب كونه باردا، في حين أن الشمس المشرقة تحرق ؟!(30) ، فيأتيها جواب القمر : هذا صحيح.. سأكتشف لكم السر! ... ، فيقول للنجمة (همسة) : إنّ ضوء القمر هو انعكاس لأشعة الشمس ، وهكذا بالنسبة لبقية الأجرام السماوية ، فكل ضياء صادر عنها سببه انعكاس أشعة الشمس، من ثم فإن هذا الضياء لا يحرق ، مثلما هو

الحال مع أشعة الشمس، وحينما عرفت النجوم هذه الحقيقة شكرت القمر لبيان السبب ، وهكذا نجد أن هذا البناء السردي قد مكن القاص من شرح هذه الحقيقة العلمية بأسلوب مبسط يفهمه الطفل .

وفي قصة (**رحلة إلى الشمس**) ضمن في مجموعة(مائة قصة وقصة)، توسع القاص في بيان هذه الحقيقة العلمية : **(قالت " باهرة" لصديقتها "ساهرة" سأطير إلى الشمس، والتقي بها وأصافحها! حينها كانت نظرات "ساهرة" غريبة وغير مصدقة، لأنها تعرف أن من المستحيل الاقتراب من الشمس ... فأحضرت ورقة وقلما، رسمت فتاة ذات ضفيرتين _ حين كان " لباهرة " ضفيرتان، كانت الفتاة تسير نحو صاروخ. ثم رسمت صورة ثانية للفتاة ، وهي داخل الصاروخ المنطلق نحو الشمس. أمّا الصورة الثالثة، فكانت للفتاة وهي تصافح الشمس)**(31). حاول القاص إيصال فكرة بعد الشمس عنا ، حتى إننا لا نستطيع الوصول اليها بأسرع الصواريخ ، كما أنها محرقة .

وفي قصة (**القمر يلعب معنا**)(32) جعل القاص القمر ينماز بلونه الفضي ، الذي يشد انتباه الطفل بشكله الجذاب الذي طالما يحلم به الصغار ، والوصول إليه ، فالقاص عمد إلى ظاهرة الأنسنة إذ جعله يتكلم وينزل إلى الأرض ويلعبون معه بمحاولة لشد الأطفال لمعرفة المزيد عن هذا الكوكب ، فجماله في القصة وسيلة لتحفيز الأطفال للبحث عن معلومات خارج القصص، علاوة على ما يحتوي على صفات من حيث طبيعة ضوئه وغيرها.

4-الماء والمرآة يعكسان الصورة :

تستمر محاولات القاص في طرح الأفكار العلمية محاولا تفسيرها ، بعد صياغتها صياغة محببة للطفل ، منميا عنده الجانب المعرفي ، وهذه المرة يشرح للطفل كيف أن وجه الماء يعكس صورة الأشياء ، تماما مثلما تفعل المرآة ، وقد وردت بهذا الشأن عدة قصص ، نختار منها قصة (**المرآة السعيدة**) من مجموعة (مائة قصة وقصة) ، وبطلتها مرآة حزينة لأنها أخفقت في رؤية نفسها مثل باقي الكائنات: ولما علمت العمة (نخلة) سبب حزن المرآة، أخذتها إلى الغابة، حيث الجدول (منهل) وهناك أرتها صورتها على سطح ماء الجدول: **(ماذا ترين يا عزيزتي، أوه يا عمتي ! أرى فتاة جميلة جدا .. ناعمة .. فضية.. لماعة! هل إنها أنا؟)**(33)، ومن هنا استغل شفيق مهدي الحوار الدائر بين النخلة والمرآة، كي يعلم الطفل أن وجه الماء يعكس صورة الأشياء، تماما كما تفعل المرآة.

لقد تكرر حضور هذا الموضوع في قصة أخرى ولكن من وجهة نظر أخرى ، ففي قصة (**وليمة القمر**) الواردة في مجموعة (الف حكاية وحكاية)، تفرح الأسماك ، وتأخذ بالقفز فرحا فوق سطح الماء **:(عندما رأت رغيف خبز ناصع البياض، طافياً فوق الماء، راحت تسبح نحوه، وفتحت أفواهها الجائعة لتلتهمه، لكنها لم تستطيع أن تقضم من الرغيف الشهي قضمه واحدة!، هل تعرفون السبب ؟ نعم، الرغيف الأبيض كان مجرد انعكاس)**(34) ، وهكذا استطاع القاص تبسيط فكرة انعكاس الصورة على وجه الماء للطفل عبر هذه القصص .

5-التراب يطهر جسم العصافير:

من الحقائق العلمية الأخرى التي أراد القاص إيصالها إلى ذهن الطفل ، حقيقة كون التراب مطهرا من الجراثيم ، فهو يقضي على ما هو ضار للحيوانات ، لهذا نرى بعض الحيوانات تتعفر به ، وقد أمرنا الشرع الإسلامي بتطهير الإناء الذي يلغ فيه الكلب بغسله سبع مرات إحداهن بالتراب ، وقد ورد هذا التفسير في قصة (**العصافير والغيمة**) الواردة في مجموعة (الف حكاية وحكاية)؛ عندما جعل القاص الحوار الذي دار بين طرفين مختلفين؛ موجود يمتلك الروح هو العصفور ، وموجود آخر لا يمتلك روح هو الغيمة . تميز هذا الحوار بالتكثيف ، فالقاص بعد أن أنسن الغيمة جعلها تشعر

بالاستغراب، عندما: **(رأت العصافير الصغيرة تلعب بالتراب، وترشه على كل ريشة من ريشاتها، فقالت في نفسها: عصافير قذرة! وسخة! انتظري ، وسأعلمك درساً في النظافة!.. جعلت الغيمة تفكر ، تجمع كل قواها، وزخت مطرها زخا قوياً على العصافير، فبللتها ، وأخذ الماء والتراب يقطران من ريشها, نظر أحد العصافير إلى الغيمة مستغرباً، وقال: لماذا فعلت ذلك يا صديقتنا العزيزة ؟ أجابت الغيمة وهي غاضبة, وتقول فعلت ذلك لكي أنظفكم من التراب والأوساخ، نظر العصفور إليها قائلاً: لم نكن نلعب بالتراب لكي نوسخ نفسنا وإنّما كنا نتعفر ونستحم ، حتى نتخلص من الحشرات المؤذية العالقة في ريشنا!)**(35) .

من هنا نكتشف أن القاص حاول تعزيز المباني المعرفية للطفل بأسلوب ميسر يتناغم مع إمكانياته وواقعه ، ومما لا شك فيه هذا النوع من الأدب ضرورة لحياتنا ؛ لأن هذه القصص وفق هذا المنحى تزيد **(معرفة الطفل بالبيئة المحيطة به، وعادات الحيوانات ، ونمو النباتات)**(36) .

6-الثلج و الحرارة:

ومن الحقائق العلمية التي أراد القاص إيصالها أيضا إلى ذهن الطفل أو أراد تفسيرها له ، حقيقة ذوبان الثلج عند تعرضه للحرارة ، وقد وردت هذه الفكرة في أكثر من قصة، نختار منها قصة (**الماء يستحم**) وقصة (**السبب**)، ففي قصة (**الماء يستحم**) الواردة في مجموعة (مائة قصة وقصة) يقول الراوي **:(عندما قال الماء : الجو حار! أريد أن استحم! نظرت إليه(رونق) فوجدته يستحم في العرق. أسرعت إلى البيت ، أحضرت قطعة من الثلج . وضعتها فيه.. عندها شعر الماء بالانتعاش، فقال: شكرا يا(رونق) انظري أنا استحم)**(37) ، وهكذا نجد أن شفيق مهدي أنس الماء وجعله يتكلم كلام البشر ، فشرح للطفل عبر هذه التقنية أو فسر له كيفية ذوبان الثلج وأسبابه .

وفي قصة (**السبب**) الواردة في المجموعة ذاتها ، يقول السارد : **(صباح هذا اليوم البارد، رأيت قطعة رقيقة من الثلج، تغطي عشب الحديقة. سأسرع لأخبر (نهى).. ستفرح ! أختي الصغيرة تتمنى أن تشاهد ثلجا في الشتاء. عندما أيقظت (نهى) وخرجنا إلى الحديقة، لم نرَ الثلج! أين الثلج؟ في هذه الأحيان تساءلت(نهى)..صحيح...أين الثلج؟ لقد اختفى ! أشار العصفور إلى الشمس ، وقال: إنها السبب!)**(38) ، وهكذا نجد أن القاص (شفيق مهدي) أنسن هنا العصفور ، فجعله يشير إلى الشمس ويقول لها : إنها السبب في ذوبان الثلج .

7- حيوانات لا تخاف الماء:

ومن منطلق إنّ الغاية المتوخاة في بعض جوانبها، من المنجز القصصي لأدب الأطفال عند "شفيق مهدي"، هي نقل المعارف العلمية إلى عقل الأطفال بتقنية تتناسب وطبيعة الطفل ، لهذا عمد القاص إلى تناول جزئيات تلامس ذائقتهم (الأطفال)؛ وعليه فهو عندما أراد إيصال فكرة وجود حيوانات تعيش في الماء ، ولا تتضرر منه ، مثلما يحصل مع البشر ، صاغ هذه الفكرة عبر قصصه ، التي منها قصة (**السلحفاة والمطر**) الواردة في مجموعة (مائة قصة وقصة)، يقول السارد : **(سقطت قطرة مطر بالقرب من السلحفاة (نجاة) أخرجت رأسها من درعها، وتوالى هطول قطرات المطر؛ ... لكن (نجاة) لم تخف رأسها، أو تختبئ، كما فعلت أنا! تساءلت عن السبب ؟ فعرفت حينها أن السلحفاة تحب الماء**)(39) ، وأن الحيوانات المائية مثل السلحفاة لا تخاف المطر، وتستطيع أن تقضي فترات طويلة من حياتها فيه.

نكتفي بهذا القدر من التفسيرات التي حاول القاص بيانها إلى الطفل عبر قصصه ، ونحن نؤكد هنا ، لو إننا تتبعنا جميع معارف العلمية التي أراد القاص إيصالها إلى أذهان الأطفال ، لضاق بنا المجال ، نظرا لكون خطاب شفيق مهدي القصصي الموجه للطفل ، خطابا تعليميا بالدرجة الأساس ، مع عدم نسيان كونه خطابا جماليا يتوخى المتعة أيضا .

الخاتمة

توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى نتائج نستطيع إيجازها بالآتي :

1 . الأدب ولاسيما القصص الموجهة للطفل ، تنطوي على غايات يريد الكاتب إيصالها للطفل مستغلا شغف الطفل بالقص وولعه به ، وهذه الغايات يغلب عليها كونها تربوية وتعليمية وتثقيفية .

2 .بعد اطلاعنا على جهد الكاتب شفيق مهدي القصصي الموجه للطفل (مجموعة الفصول ، مجموعة مائة قصة وقصة ، مجموعة الف حكاية وحكاية) استطعنا الوقوف على الغايات التفسيرية أو العلمية التي تنطوي عليها هذه المجاميع ، ويمكن إيجازها بالاتي :

أولا : وجود بعض الحيوانات لا تخشى الماء مثلما يخشاه الإنسان ، لأن مكانها الطبيعي هو الماء .

ثانيا : الثلج يذوب بالحرارة .

ثالثا : التراب يعفر أجسام الحيوانات ويخلصها من الجراثيم والبكتريا المضرة لها .

رابعا : وجه الماء أو سطحه ، يشبه المرآة في كونه يعكس صور الأشياء .

خامسا : ضوء الشمس يحرق ، في حين أن للقمر نورا لا يحرق .

سادسا : مكان النجوم والغيوم والقمر والشمس وقوس قزح هو السماء وليس الأرض .

سابعا : لا بد من وجود ظل لكل موجود ، وأن وجوده مرتبط بوجود الضوء أو النو

الهوامش

1. قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العلمية : ص 68
2. ادب الأطفال وثقافتهم : ص 62
3. ثقافة الأطفال : 147.
4. ادب الأطفال ، المفاهيم ، الأشكال ، التطبيق :ص 42
5. ادب الأطفال في العالم العربي : ص 22
6. ينظر : في الأدب واللغة : ص 20
7. الأدب وفنونه : ص 4
8. ينظر : الانسنة في شعر احمد مطر ، دراسة تحليلية : ص
9. ادب الأطفال وثقافتهم : ص 62.
10. حكايات الفصول : ص 144
11. المصدر نفسه : ص 145
12. مائة قصة وقصة : ص 57
13. المصدر نفسه : ص 39
14. المصدر نفسه : ص 96
15. حكايات الفصول : ص 293

16. مائة قصة وقصة : ص 108
17. المصدر نفسه : ص 73
18.الف حكاية وحكاية : ص 186
19. مائة قصة وقصة : ص 42
20. حكايات الفصول : ص 22
21. مائة قصة وقصة : ص 95
22. الف حكاية وحكاية : ص 251
23. حكايات الفصول: ص 11
24. مائة قصة وقصة : ص 30
25. الف حكاية وحكاية : ص 386
26. المصدر نفسه : ص 333
27. المصدر نفسه : ص 155
28. الف حكاية وحكاية : ص 219
29.القران الكريم ، سورة يونس ، اية 5
30. حكايات الفصول : ص 79
31. مائة قصة وقصة : ص 81
32. المصدر نفسه : ص 71
33. مائة قصة وقصة : ص 99
34. الف حكاية وحكاية : ص 153
35.المصدر نفسه : ص 29
36.ادب الاطفال ، الهيتي : ص 69
37. مائة قصة وقصة : ص 32
38. المصدر نفسه : ص79
39. المصدر نفسه : ص14

المصادر

القران الكريم

1.ادب الأطفال ، المفاهيم ، الأشكال ، التطبيق،أ. د كمال الدين حسين، دار العالم العربي، القاهرة ، ط1، 2009م) 42.

2. ادب الاطفال ، الهيتي: ص69.

3. ادب الأطفال في العالم العربي، مفهومة، نشأته،أنواعه، تطوره_ دراسة تحليلة_ رافد سالم سرحان شهاب "بحث"، مجلة التقني، الأنبار، العراق، مج26، ع6، 2013م) 22.

4. ادب الأطفال وثقافتهم، الفيصل، ص62.

5. ينظر:الأدب وفنونه،د. محمد مندور هيكل، مكتبة الأسرة، القاهرة، د. ط، 1998م)20.

6. الانسنة في شعر احمد مطر ، عبد الكريم حضير عليوي السعيدي، دراسة تحليلية، بحث منشو، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة واسط، رقم العدد..،

7.ينظر: ثقافة الأطفال، د. هادي نعمان الهيتي: ص147.

8. حكايات الفصول: شفيق مهدي ، ط1، 2001م.

9.المجموعة القصصية: الف حكاية وحكاية، شفيق مهدي، ط2013،1م.

10.ينظر: في الأدب واللغة، أحمد هيكل،مكتبة الأسرة، القاهرة، د.ط، 1998م/20.

11.قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العلمية: سمير عبد الوهاب أحمد: ص68.

12. المجموعة القصصية: مائة قصة وقصة، شفيق مهدي، ط2023،1م.

13.المجموعة القصصية: مائة قصة وقصة، شفيق مهدي.